الكاتب: عمر الحمادين

رقم الإيداع: 19174 / 2018

ISBN : 978 - 977 - 798 - 145 - 3

دار الحلم للنشر والتوزيع والترجمة ©

عضو اتحاد الناشرين المصريين

القاهرة - جمهورية مصر العربية

E-mail: dar_el7elm@hotmail.com

info.darel7elm@Gmail.com

Tel: 00242216335 - Mob: 00201141824562

Sales Manager Mob :00201146644959

جميع الحقوق محفوظة للناشر©

إنَّ دار الحلم للنشر والتوزيع غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وتعبِّر الآراء الواردة في هذا الكتاب عن آراء المؤلف، ولا تعبِّر بالضرورة عن آراء الدار، كما أن جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للدار ولا يجوز طبع أو إعادة استخدام أي جزء من العمل في أي صورة كانت إلّا بموجب موافقة خطية من الناشر.

وتر يا ذات

الكاتب

عمر الحمادين

الحلم
للنشر و التوزيع

إهداء

إلى العابرين في حياتنا..

إلى العثرات التي تُسقطنا فننهض من جديد أو ننكسر فلا نجعلها تكسر غيرنا..

إلى من استباحوا قلوب البشر فدمدموها ولم يفرقوا بين الأبرياء ومن دونهم..

إلى الفقراء الذين يتسلحون بالرضا ليبقوا على قيد الحياة..

إلى الظروف التي تجعل من حياتنا فصولًا نخشى فيها الخريف..

إلى الذين لقَّمونا الندم يومًا بعد يوم..

إلى الذين عاشوا أنقياء فعاندتهم الدنيا لتشوه أرواحهم..

إلى أصحاب النفوذ والسلطة الذين يُسدلون ستائر الظلم على فرحة الفقراء الأشقياء وكل محتاج..

إلى العاشقين الذين يقفون على منصة الحب منتظرين إذنًا بالموافقة على الحب المتبادل أو الموت شنقًا واختناقًا كل ليلة..

إلى من أخرجونا عقّالًا من أصلابهم..

إلى أبي وأمي..

إلى ذاتي التي حُكم عليها بأن تصبح لسانًا من حبر وقلبًا على ورق.

* * *

الفَصْلُ الأَوَّل

رمقتني بنظرة ونبست لي: سأهديك هدية.. اطلب يا من تخبو بين دقات قلبي وفي كل ثنية.

تاه في بنيات عقله ثم استعاد وعيه وقال: أريد مصحفًا، فقد لاقيت في طريقي ألف عثرة و لية.

صاحت بي: اطلب عطرًا أو وشاحًا.. أنت بي مترفًا..

أتطلب مصحفًا وعندك الكثير..

أنت باستهزائك جرعت قلبي ألف كية وكية.

نظر في عينيها وقال: أريد بكل حرف أقرأه حسنة تحتضنك، وأخرى تقبّلك، وخمس يخدمنك يا أجمل حورية.

قالت: وما بال الثلاث الباقيات، أحالهن بات متوقفًا؟

قلت: بل جعلت إحداهن في النزاع تُصلحنا، والثانية نحو الخير تدفعنا، والثالثة تجعل قلوبنا حية.

ثم بعد كل ما قرأت وضعت للرحمان _لتكوني حلالًا لي_ بحار دعوات ورجية.

هكذا حُبُّ الله يرافقني وأضمن لك من الأجر حلية..

أما علمتي سيدتي كم يعشق الشماغ الأحمر الكوفية!!

* * *

قال الملك: أيتها الجارية املئي الإناء حرية.

فلم تُجب!!

قال بنبرة غضب: أوامري تطاع وهي سارية ومفهومة فليست بلغة عبرية.

لم تتحرك وبقيت صامتة!!

قال: رويدك.. تحدَّثي بما تشائين، فنحن بلاد ننبع بالديمقراطية.

قالت: مولاي.. كل ظالم في بلادك قد فج، والعلماء أُكرهوا على الطاعة..

فإما سجنك بهم زج،

وفسدوا كما تفسد البضاعة..

وإما أن جسدهم مع الفؤاد هج

إلى الله فمنه تطلب الشفاعة.

أزرف وجه الملك كأن قريبه قد هلك،

ثم ابتسم ابتسامة وديعة..

قال: إلى ما ترمين؟

قالت: إلى الضمائر والنفوس الوضيعة.

زمجر الملك وقال: يا حراس!!!

ائتوني بالمقصلة، لا أريدها حية كأنها لم تخلق من الأساس،

هؤلاء أعداء الإصلاح والدليل كلماتها المرسلة.

ابتسمت الجارية قائلة:

كنت تريد الإناء.. إنما حريتكم في فناء.. وهذه هي المحصلة.

سيدي.. تموت الأجساد ويموت الفساد

ورب العرش لتحملن على النعش

ألقاك هناك، تحت التراب، أيها الغراب!!

* * *

رقعة شطرنج

فريقان

الأول: مكون من اثنين وعشرين لاعبًا

والآخر: عدو أمضى طيلة عمره منبوذًا ومشاغبًا

واللعبة للأذكياء

ولأن صاحبنا خبير وآية في الدهاء

أراد أن يصنع فتنة

وإن نواياه قبيحة ونتنة

تحداهم وقبل ذلك

سألهم: أيكم أكثر قوة

هكذا تأتي المهالك

ومن هنا تنتج الفرقة والهوة

فأخذت القطع البيضاء تتنافس

من العدو ومن الصديق أخذت تتهامس

فوحدة اللون تشوشهم لكن أمر الملوك يجاب

ومن المعروف أن عذاب الملك شديد مؤلم يُهاب

ولأن استمرار القتال أمر الملك

فإن الجميع قد هلك

وأتى العدو المحتال مع العدد والعدة

وخاطب الملوك بخطاب ينضح بالحدة

أتى يومكم المنتظر

اقتلوا يا جنود السود البقية

وتمتعوا بتعذيب البشر

ولا ترأفوا بشيخ أو بطفل ما دام عربي الهوية

ولا تعترفوا بالرحمة حتى وإن احتضر

هكذا هم الجنود السود

وها هي الفرقة وبما تجود

فسلام على الأرض

حينما تتحول لطيعة تستخدم للتباهي والعرض

سلام على الرياح فسفينتي اليوم غارقة

والروح جروح وكل ساعة مفارقة

والبشر وعود وحب ولوحات من الأمل البهيج

بينما واقعها آلام موبقة وسكرات من النشيج

سأقفل على نفسي الصفحات

وأكسر وأضم مع الحركات

وأتخذ حروفي حسناء شائقة

ستكون الوحدة ونيسي وناسي وأساسي وجبالي الشاهقة

مللت الدنية وأتعبني من جاء شيئًا إمرا

وأضعت ما بين العقل والقلب روحًا وعمرا

فما عاد شيء يغريني وما عاد التأمل يُنسيني

فسلام على النفس وما هي ذائقة

الإنسان تضيق به الحال

وتأتيه الهموم

ويرى اليأس في السماء محمولًا على الغيوم

فيقيد بسلاسل

أثقل من الجبال والصابرون قلائل

فيحيل أمره لمن في الأرض في حين أنه ينبغي للسماء أن يُحال

مما يعني أنه عن الصراط قد مال

وصاحبا هذا أضاع البصيرة

فرأى فرجه في اتِّباع الشعوذة الخطيرة

فارتأيت أن أذكر لكم الأحدث قبل أن يأتي يوم تقفل بي وبكم الأجداث

يا أيها الساحر

قيل لي أنك بعملك لا تستدعي الجان

وأن عملك باهر

وأنك تقرأ المستقبل بالفنجان

فقد جئتك ولعلك لحظي العاثر قاهر

وأن تجعلني خير إنسان

إذن احتسي فنجان القهوة

وحينما تنتهي أعلمني فورًا ولا تُباغتك نسيئة أو سهوة

وأنصت لقولي ولا تتجاهل المعنى ولا الفحوى

فنجانك أسدل لسانه ينطق

أنك منحوس وحظك تجاوز في سخطه عليك المنطق

خر صاحبنا من القول المخيف وقال بصوت أقرب لعزف الخريف:

داوني من دائي

هذا أملي وهذا رجائي

وإلا فالموت أولى بي

فقد شجب العقل وأكل كبدي بكائي

طف حول بيتك عند ظهور العلامة

وإياك أن تفوتك فتكون لك الندامة

وكن مثابرًا بالأمور

إلى حين حدوثها واجعل يديك للخير منبعًا للبحور

ساعد فقيرًا، زر مريضًا وأعتق أسيرًا وتصرف كأن الغد هو يوم القيامة

فإن أهانك الخادم والسيد

فهذه يا بني العلامة، وهذا جيد

وقبل الطواف سآخذ منك إيلاف

ألا ذنوب حتى تعودني فلا تتجرأ على الاقتراف

"عاد صاحبنا بشوش الوجه عريض الابتسامة

كأنه لم يشكُ قط ولم يحدِّث نفسه بالملامة"

وقال للشيخ الذي علم أنه ليس بساحر:

ظلمت نفسي وما ظلمت نفسك

اخترتُ أن أعصي واخترتَ أن تتنسك

فأرشدتني بعلمك وأعلم أن جهلي أسك

قابلت السعادة

بين ضفتي الأخلاق والعبادة

فما عانيت من بأس أو من يأس

وأصبحت من أرباب الأخلاق والسدادة

لكن عدتك ولدي من الأقوال

أنني تعلمت

أن إصلاح النفس يحطم كل الأقفال

أعظمها قفل الجنة وهذا هو الغاية والمنال

_أعانك الله وأعانِ

أذكرك بقولك إنني ساحر دون جان

وأضيف يا بني أن فنجان الهداية

يقرأ حين تُوضع الدنيا في الرفات بأنه ثقيل بالميزان

وطف حول بيتك لتدرك ما فيه

فالرضى إن أصاب العبد يُغنيه

ولوم النفس ودثرها يُدمي العبد

وفي جوف البلاء يُلقيه

* * *

الحرية اليوم: إنه المطار

ضخم جدًا ومرتفع الأسوار

ألف تصريح

وكلام بذيء وتجريح

وكل خطوة أخطوها تفتيش

ولست أحمل معي ممنوعات ولا حشيش

طابور طويل ووقت يتسلحف، والرجل الذي بجواري ينظر إليَّ ويتأفف

كل مسافر يمر يحمل رشاشًا أو بندقية

ومروره يتوقف على حجم الكرسي والجنسية

وأخيرًا دوري وتفتيش جديد

لا بأس ففي طريقي واجهت منهم العديد

صرخ المفتش: يا للهول.. أنت سفاح تستحق سوطًا من حديد

وتزاحم المسؤولون يتهامسون بسرية

وقالوا: وجدنا أقلام ولست من الإعلام وهذه أسلحة حظرتها القوانين الدولية

ما منعكم عن غيري وما تهمي

اقرأ جوازك.. أنت مسلم وأيضا تنطق بالعربية

قيدت يدي وفي أثناء خروجي سقط نظري على التلفاز

وتوقفوا معي قليلًا تجليلًا للمتحدث

فيه واعتزاز

كانت قناة سياسية

تندد بالعنصرية

وتنادي بالحرية

أجل يا سادة الحرية حول معصمي تشد عليه

هي حرية الدول القوية

* * *

عالم متعلم تسوده العنجهية

نظم وأسس وقوانين غبية

أحكامهم ترهات وأغاني

والقاضي في مسائلهم هو الجاني

والشعب هو من يعاني، كأفعى مجلجلة التفت حول سحلية

الحرية شعاره ثم يجعلون خلف كل فكرة جريئة زنزانة وبندقية

والطغاة مفسوح لهم وأيديهم قد ملت الذهب والألماس والهدية

لهم أهداف بأي وسيلة حتى أصبح الاغتسال بالدم عادة عادية

مريض أنا يا حريتي

وليس السكون من سجيتي

فكوني أنت حبيبتي وأجمل حورية

هيا نؤرقهم بكلماتنا ونعلمهم علمًا أسمى من الجامعة والكلية

قولي لهم كيف أحببتك

وسأقول لهم كيف كتبتك

ولا بأس فليأخذوا جسدي فروحي ستبقى تعذبهم فروحي ثورية.

* * *

أقبل الدهر من حديثها يتلمظ

ومن عرفها بالشهد والريحان يتلفظ

في نمسات حروفها الحادة ثبور

كأن جمال كلماتها بركان يثور

وإن سألت عينيها عن التعويذة

قالت: أرض وابتسامتي هي البذور

وإن حاذت ثعب وادي هواها

وجدت زهر الياسمين قد تلاها

لجة في عطائها تضع على القلوب إكسير

دواء لمن أشكعه حاله وباعوجاج دائمًا يسير

تُشهين حديث الجد العتيق عن القديم

عن قمر شق طريقه ومزَّق السديم

فأشرق الوجه بحلولها وأشرقت ضفاف الأديم

غفيت في شواظ الدنيا فأرسلت لي بالنهل

تقول الأمل كثير لا تتسرع فالخير يأتي على مهل

لكن لا تكن كالأشعث الأغبر الأشكس

الذي بؤسه نفاه من حياته ولحاله أركس

وفاض في عطائها كالصبح حين يتنفس

جميلة وكيف لا يليق بأمثالها الجمال

كأن جمال روحها أغلال

تكبل شلو قلب طالما أوكس.

* * *

كان جدي يرتزق

من صدح السنابل المندفق

لكن ذات يوم

جاء إلى البلدة قوم

يبيعون القمح بسعر زهيد

ففرح الناس بالتاجر الجديد

ووجدت جدي يهجر الفأس

لأن الزراعة حملت الحزن واليأس

وحينما هلكت الأرض جفاء

أتى هؤلاء الأوفياء

نادوا اليوم يوم الاحتكار

قمحكم دُنِّس بالدولار

أتعلمون من المقصود بقولي؟

اسألوا البنك الدولي.

* * *

يا عمي أنا بابنتك مفتون فاخترت الحب الأطهر

جئتك بأبي وأمي واهتممت بمنظري كي أكون أمامك حسن المظهر

-زوج ابنتي يجب أن يكون غنيًا

ذا نسب عريق كنسب وزير أو أشهر

كامل الأوصاف، جبار، لا يخاف في زمن أقل ما قيل فيه إنه أغبر

-اسأل يا عمي قارون عن المال، أين سلكه في أي معبر

واسأل أبا جهل إن كان نسبه بالرسول تأويه عن نار فاحذر

أحببت بنتك وبعض الحب حلال أن يُهدر

علمت الآن أن الحب ليس بالجمال والمظهر

بل الحب بحبيبة تُدرك معنى أن الله أكبر

أرفض الدمع وسِيق بالجسد للقبرِ

فهل يَنفعك إذْعان الحرف للحبرِ

أتى الموت يضرب بعِطنٍ

بين الأجداث هي الأقدار مخضمة بالزبرِ

عَولْت على رحمة ربك لا أُم لكَ

تنتضي من المثالبِ بجبهة تنطع بالكِبرِ

فلا يغرنك حُلم مظلوم شططت بهِ

طوَّح كفيه يرتشف وهو يفيء بالصبرِ

امتعض من سلف ازدرد التراب منهم

ريقه، فما كان لهم اليوم من خَبرِ

ولا تكُن من ينتظر المهالك ليفنى

طِيبَ صلاح الأمر والهمِّ بالجَبرِ

هدىً ينادي يا هذا أن هيت لكَ

فلما تصدنّه وبينكما مسيرة الشِبرِ

ارحم جوفًا أسودَّ بنوايا صاحبهِ

يرحمك الله ويغنيك بالنبرِ.

* * *

في بلاد العرب، ألف مقصلة ألف بندقية

ومليون كاذب هوايتهم الإفتاء

وفي معركة الاختيار أيهم الحق لا بد أن

يصيبك الإحباط و الإعياء

ديوك صباحهم صواريخ مدمرة ونهارهم

دموع أطفال وولاويل النساء

وعندما رفعت منظمة حقوق الإنسان قضية

بشر قد شاهوا

وضعوا سفير السلام والوئام "النتن ياهو"

فأهلًا بسفير القتل والدماء

* * *

كبِّلوا لي الأمل وأحضروه

يكفيه تغربًا على مختلف الوجوه

أليس لي عليه حق

قبل أن يأتيني ضرر أو يصيبني مكروه

أحلامي هوجاء عوجاء على وشك أن تتوه

وأنا ضائع فاقد للودائع ملخصًا لمن نسوه

فسلام عليّ حين أختفي في البرد دون معطفي

والأفكار فوق رأسي تعلوه

أنا جسد دون روح فإن لم يعد الأمل لجسدي فاقتلوه

عليك الصلاة

كما عليك الوثوق

أنك في بلاد العرب تنال جميع الحقوق

عدا حق الحياة

فلا تنتظروا هذا الحق إن كان مُنجدكم هم الغزاة!

* * *

اختفت إحدى شياه الرعاة في أحد الكهوف

مظلم مخيف هذا الكهف لا يبدو أنه يرحب بالضيوف

اجتمع الرعاة لإخراجها، لكنهم سمعوا صوتًا يُشبه صوت الوحوش

ورأوا آثار صوف!

فظنوا أن الوحوش خماص تطالب بالمزيد

وإلا جاءهم الويل ودنا منهم الوعيد

فأتوا الكهف بالعديد العديد

حتى فنت معظم الشياه وساءت الظروف

حينها قرر شاب أن يدخل الكهف والخوف بثناياه تطوف

وحينما دخله اكتشف أن ذلك الصوت هو طنين الذباب!

وفنت شياهم وتراكمت كالعباب

من الرائحة النتنة ومن الإصغاء للفتنة وعدم الأخذ بالأسباب

وحينما أخبر قومه قتلوه؛ لأنه مجنون يهذي بالحروف!

صدح صوت الخطيب بالجامع

الأب يستعجل ابنه أيا ابن الكذا وكذا، ألست بسامع؟

وابن الخمسة أعوام

يسمع القول كالأصنام

حتى وصل لرف الأحذية الذي بالجوار قامع

ينزع خفيه ليضعهما فيه

والأب يترك نعاله بالباب يضنيه

كرسالة اكتظت بالطوابع

والأب لا زال يشتم ويسب أن أضعت علينا الأجر يا أحمق

يا أبي أما علمت ما هو الضائع؟

يا أبي ما أنت بصلاتك صانع

إن أعجزتها وحملتها جبالًا وانتقصت حقها

أنت يا أبي أهدرت القمحَ وبنيت الصوامع

أنت كالعموم تحوم كالغيوم حتى يأتي يوم تكون أنت دامع.

* * *

في حضرة الأسد تجمع اليمام

يشتكي الغراب ونعيقه المشؤوم

أعلموه أن اليوم يمضي جميل مفعم بالسلام

لكن حينما يُقبل الغراب يصبح بالنحس مختوم

فأمر الأسد بإحضار الغراب بأي طريقة

وأن تُقطع حنجرته، وهكذا يختفي نعيقه

لكن هذا لم يُنه المصائب

فأمر الأسد بنتف ريشه، ثم بحرقه ظنًا منه أن هذا صائب

وحينما استمرت المعضلة والمصائب تحوم

أدرك الأسد أن الغراب مظلوم

وحكم بأن المذنب ها هنا الخرافة

عجيب حكم أسدنا يا للسخافة!!

فلم يكلف نفسه بالندم لأحكامه أو أن يُلقي عليها باللوم

فما تعالج الأخطاء بالظرافة!!

* * *

لدغت بعوضة يد الوالي

فأخذ يصرخ: ألا إن هناك مؤامرة

تالله لأقتلن ولأسفكن.. ولن أبالي

وسأُجهِّز مقصلتي لأي مخابرة

لكن سأجمع اليوم الضرائب كقوتٍ لرجالي

أووه كيف نسيت.. لدي الليلة مقامرة.

وفي صبيحة اليوم التالي

أخذ يخطب مجاهرة

سأوفر الطعام والشراب وستكون يدي

ممدودة

لكن يا سادة إن المصادر محدودة!

* * *

احتكم الكلب إلى الأسد

أنه كان وفيًا شريفًا يُضرب به المثل بالرزانة

وأن كان حارسًا شديدًا حافظًا للأمانة

فأتاه الثعلب يغريه

ننال المنى ونصيب الغنى وجوعك نضنيه

فوسوس لي وأصبحنا أخوين بالخيانة

أسرق له كل يوم دجاجة لأرضيه

فيجمع لي العظام وفي جحري يلقيه

فنلت بصددها الإدانة

يا أيها القاضي.. أعترف أني مذنب وهذا مكره كريه

لكن بالعدل عليك الاستعانة

هو حر طليق وأنا أنال الطلقات وأُوصف بالنتانة

فاحكم حكم الإسلام فهذا يُرضيني ويُرضيه

ويُرضي خسائسه الجبانة

رد الأسد: يحول الكلب لهيئة مكافحة الفساد؛ لأنه وغد سفيه

يُعذب ليلًا ونهارًا على جوع، ويحجز بالزنزانة

أما بالنسبة لعطوفة الثعلب فعذرًا يا سادة فهو يتمتع بحصانة!

* * *

صاح قلمي بالمجتمع

بعدما عن الحق امتنع

كم حرفا أُلقي بوجهك يا أحمق

كل يوم كي تقتنع

أموالك مسروقة

حريتك كورقة محروقة

وأنت بحالك مطلع

ومن كثرة التخدير

فقد أضعت يا صديقي الضمير

في عولمة العالم المصطنع

حالك يا صديقي كسرني

وفي تابوت العجز قبرني

أشكوك لنفسك فهل لك أن تكون مستمع

أصلحني وكن المضطلع.

* * *

تركنا بالأمس القافلة

وها نحن نمتطي الحافلة

وما زال ابن السافلة

يلد في أحشاء بلادنا كل يوم سفاح

ويبيع لنا ولهم السلاح

ثم يأتي بحجة السلام ويخفض لنا الجناح

وما زالت العقول غافلة

وهو يسرق قوتنا ويثخننا بالجراح

ويرمي لنا بالفُتاتِ لنقتات

ويمنّ علينا بهذه النافلة

ونحن نقابله بالشكر والتقدير والأفراح

يا للفضيحة.. صامتون أمام الاحتلال والقبيحة!!

فحتى الكلاب تجيد النباح.

* * *

يا أيها الضمير الغائب

أيُرضيك أن أكون الأحوب

أريد أن أكون تائب

لا تتفاجئ ولا تعجب

إني من لقاء المولى هائب

والنفس طاغية فعلى من أعتب

والنفوس نفيسة دون شائب

إن غدا صاحبها تقيًا ارتب

فلا تجعل نفسك كالشجر السائب

إن لم تذكر اللهَ العبادَ تغتب

ولا تُطع كل منافق عائب

لا تطاوع جسدًا أكذب.

* * *

أردت الرحيل من المجرة

حضرت لأكسر خلفي ألف جرة وجرة

هممت بالرحيل

قبَّلت كتبي ولما أرهقني التقبيل

قررت أخذها معي

فجأة فقدت الوعي

استيقظت ورأسي تخطفه المياه ومن ثغراته تسيل

قالوا: إلى أين ستذهب يا عميل؟

صحت بهم: أين الدليل؟

أشاروا إلى الكتب: إليك يا قلم إلى الخليل

قلت لهم: أني راحل ولن أعود

قالوا: ماذا إن وجدت قوم غيرنا

ستمتلكهم وتسود

قلت لهم: إنها لثقافة وليست سخافة

فقالوا: نحن نأسر العالم بالجهل والمخافة

نضمن أن الكروش تسمن والعقول تصيبها النحافة.

* * *

جالس على الأريكة

أتابع التلفاز

أشاهد بؤس عروبتي وخباثة أمريكا

وأستمع لسياسة الابتزاز

وأرى دولًا تدعو للسلام وهي بالإرهاب شريكة

رأيتها تدخل بيتي وبيدها قلم

قالت: لا تخف جئناك بقليل من الألم

نحتاج دمك، فقد نفد منّا الحبر

نخدمك، نختصر عليك العمر ونرسلك للقبر

وبعد انتهائهم من عملية الاغتيال

كتبوا على جدار القدس أحرف عبرية

ليُضلوا بها الأجيال

أننا ندعو للسلام وأننا نحترم الحياة والحرية!!

* * *

قول الأشواك

النزف بعد العراك

والقلب الأحمق

يهوى ذلك الأخرق

ثم يشكو الألم

ويستفزني بالعويل والندم

وتهب الكلمات مغبَّرة بالدموع

وتأتي على كل حلم لتنطفئ كالشموع

وأنا أمضي بالمتاهة

وأحاول عبثا، يا لي من سخيف!!

يا للتفاهة

ويأتيني القلم في وهلة السكون

يحتس الألم ويخبرني كيف يكون

أنا الورق أنا الغرق

وبينهما موج حروف

مللت يا أيتها الظروف!

* * *

نبض القلوب ولكنها تتخلى عن ألسنتها وترتدي الكتمان

ضجيج المشاعر والتقاء العينين وانطباق الشفتين تقييدًا للسان

وكلانا هالك بعشق يحويه والصمت أول سبل الهذيان

دلني كيف نُلقي ما في حوزتنا

وكيف بهواه يبوح الإنسان

كيف السبيل للأمان دلني

من خوف يقتل الروح والوجدان

كيف لنا أن نغيب صمتًا

كيف لنا أن نجعل البوح في إذعان

حياء عن حبك يمنعني

وقلب فيك متيَّم حد الإيمان

يا سيدي دلني

بالله عليك دلني

كيف للحب أن يزهر بعد فيض أعيننا

وكيف لروحينا أن تصبح روحًا دون اعتراف وإعلان.

* * *

على طاولة المفاوضات

قدَّموا لنا المائدة

ربطوا على أعناقهم أكفان الأموات

وقدَّموا لنا طبق القروض ورفعوا لنا كؤوس الفائدة

ووسعوا أفواههم لتتسع اللقيمات

وخاطوا أفواهنا بسياستهم الكائدة

وحين شكونا للحوت جوعنا

قال: الوحدة قادمة وفلسطين عائدة

إلى متى نتلقى اللكمات

وحياة الذل والدم هي السائدة

والوطنيون يتاجرون بوطنهم

والدين رذيلة للفتنة وللفناء قائدة.

* * *

يا أيها المسؤول

كفاك فسادًا

لم آتيك بكلام معسول

ولم يزدني رغد عيشك إلا عنادًا

أشهد أنك طورت التعليم وأزلت الجهالة

لكن لم يزدنا التعليم إلا بطالة

ولأن العقل السليم بالجسم السليم

فقد أصبحت المستشفيات عصابات وأداة تقليم

أما المواطن المعدم

أصبحت هوايته أن يعدم

حلمه رغيف الخبز

وأن يتجاوز بأهله وأن يتمكن من الإعالة

وأما الإعلام يا سيدي فأصبح تجارة

بضاعة بين المسؤولين تحتمل الإعارة

يا أيها المسؤول اعزل نفسك قبل الإقالة

قبل أن تقف يا صاحب المعالي أمام الرب ذي الجلالة

لن يُغنيك مالك وهناك لا رشوة ولن تجد من يمنحك كفالة.

* * *

هدوء الساعة

القتل، الأوبئة، المجاعة

وبلاد العرب على ثديي الخريف

جهل وغباء ودماء لا تمل الرضاعة

يسمونه ربيعًا وأي ربيع

يجعل الوطن مصرحًا للفظاعة

شعوب تقتل بعضها بعضا

وملوك طغاة أنفاسها الوضاعة

* * *

دثروني فإن عري العالم عراني

حتى من زيفه البكاء أنساني

نسير بالعَمة وإلى أين المسير

وكأن المسير مصيري الأسود أراني

عيون الكونِ رأت كل حقيقةٍ

وعيون البشر مغلقة بقفلانِ

أيا نهارًا كنت بالله مؤمنًا

بالله عليك كفاك حبًا بالأكفانِ.

* * *

سمع جحا عن بدء الترشح لمنصب النيابة

فعاد لبلدته وقد جعل بينهما حاجزًا وحجابًا قال: يا أبناء عمومتي وأقاربي لم آتيكم طمعًا

ولن أكون لكم يومًا كالسحابة

أعدكم بالإصلاح والفلاح وإن كان لديكم اقتراح

فها أنا هنا لا أنوي الذهابَ

وحينما اجتاز منافسيه باكتساح

حمل حقائبه وأطال الغيابَ

وأصبح أكبر همه راتبه

بليد لا يقبل لا كلمة ولا عتابا

وما زال حمار جحا يضحك

وقد ملأته الغرابة

كيف يأتي جحا جديد

وينال التأييد بالتمسكن والخطابة!

* * *

رسم طفل دائرة

وبدت أفكاره بها حائرة

لا يعلم إلى ما ينتمي

مركب في تيه البحر سائرة

طمثوا له هويته ولا حول له

بئس العلم الذي يجعل النفوس كالكلاب الجائرة

علموه الجهل وجهلوه بدينه

كي يصبح عبدًا وتنطفئ الشموع الثائرة

ينادي بالسلام ويسلب بالسلام

وما تركوا له إلى الذل والاستسلام

وأقبلت العيون لتبقى غائرة

لن يدخلوك عنوة يا وطني

سيدخلوك دخول القافلة العابرة

يسرقون قوت شعبك

بأفكار وعهود تكتبها أقلام عاهرة

وكسروا أقلام الهوية، وما تبقى

بعثروا لتصبح كنوزًا مسافرة

زرعوا فينا السعي للخمول

وجعلوا الأحلام للهزيمة مثابرة

يا بني

لا تضع نفسك بالدائرة

فعالمُنا وحوش كاسرة.

* * *

طأطئ رأسك وانحني

وإلى حضن عدوك محتمي

فلم يبقَ منك مثقال ذرةٍ

فكيف للميت أن يغتني

ساومت على نفسك لا أم لك

وأنت بجيبك تعتني

أذان الفجر يناديك هَلُّمَ

وأنت تحت غطائك مرتمي

ألا إن الموت آتٍ فاصطبر

فما صبر الظالم إن فنى؟

* * *

ضعت وضعنا

ومن معنا؟ إن قلتم الله

فهل أنصفنا في عبادته منذ أن جئنا

لمُنا أخوة يوسف في كيدهم

ونحن شر مكانًا بما كدنا

ضاعت أنفسنا في طاغوت مطبق

طمع وطغيان دون هدنة

نعود بأجسادنا إلى ما نشأت

وأرواحنا أضعناها وما عدنا

هبوط وانحلال إلا القلة القلال

هكذا أصبحنا وهكذا الذل سدنا

إن أردت ألا تخاف يوما

فعليك يا هذا بالحذر

فإن الوقاية حصن شامخ

يبقيك بعيدًا عن الخطر

ولا تتذمر من نوادي الدهر

ولا تشكو من مخالب القدر

ما ينال أحد إلا من جنس كيده

كيد الظالم رجس إن كفر

وكيد النقي سراج موهج

يُبقي القلب نابضًا متبعًا للأثر.

* * *

في حوار مع أستاذي الجامعي

ألقى لي معادلة

كأنها سفينة حربية

S+l+a+m =???

قلت له: اكتبها بالعربية

كتبها وقد تأفف من المجادلة

س+ل+ا+م=؟؟

أخبرته أن فيها أربعة مجاهيل

لكن حروفها سابقة للذكر

قديمة رثة اندثرت بالعراقيل

كأن الافاعي لدغتها وعادت للوكر

لا نحتاج لمعادلات لحلها

لا نحتاج سوى لمنع البراميل

وهكذا نؤذي النفوس الشقية حتى شلها

قال الأستاذ

حصلت على الصفر المطلق

ماكر كعادتك

لكن لغير كتابي لا تتطرق

أنت غبي وأهوج وأحمق

سر مع القطيع

إن ضاعوا تضيع

خير من الوحدة وخير من الفكر الأعمق!!

* * *

يا سيدي القاضي

لا داعي لطرح التهم

فسجلي مليء ونَهم

فقد مللت من وابلِ الاتهام

أتريد لضميري أن ينام؟

ضميري حي

لذا عليك يا سيدي بدفعي للإعدام

يا سيدي حالي كحال أمتي

مكسرةُ الأقلام ومبتورةُ الأحلام

والأيام سقيمةٌ تهدينا كل يومٍ ألفُ قتيل

وشعبي وشعبك يا سيدي القاضي مغيب تائه عليل

فهجوتهم

لعل الله يحييهم من بعد موتهم

فأُوتي بي إلى هنا

ووُصف قلمي بالعميل

اعذر قلمي فهو سفاحٌ يذم الدول الشقيقة

غريبُ الأطوار ناكر للجميل

فدولةُ إسرائيل نزيهة عريقة

وقلمي المتعجرف يضع أمام السلام العراقيل

فيا سيدي إن لم تكفِ المصافحة لجعل العلاقات عميقة

فاتخذ مع أيديهم سياسةَ التقبيل

يا سيدي كفاك مضيعةٌ للوقت

أُؤمر بتكبيلي ونحو زنزانتي أُقتاد

فهذه مهزلة والسيناريو معروف ومعتاد

والحديث دوما طويلٌ طويلٌ طويل

وأنت يا سيدي لا حكم لك فأنت كدمي ذليل

وإن أُعجز قضاة الأرض عن إنصافنا

فنعلم لمن قضايانا نُحيل

جيلنا عجيب

يطالب بالكثير

محتَّج دومًا

والاحتجاج ليس بالغريب

لكنهم نذروا عن الفهم صومًا

فحينما أرادوا الدفاع عن لغتهم

وأرادوا لعب دور الطبيب

هتفوا بالشارع

وكان الهتاف من الفظائع

مما يدفعك للإعراض والذهاب ويسوغ هربك

فأي معتوه يؤمن بلغته يقول دونها

I'm proud because I speak Arabic!!

* * *

أذان للبيع

صوت الحق اليوم بمائتي دولار

لا تُضع الفرصة فكما يقولون "لحق حالك حرق أسعار"

إنها الجزية فنحن نملك أرضنا

ونستأجرها من غيرنا

وإن تماسكنا بشيء ففي تولي الأدبار

غيرنا لا ماء ولا كهرباء

سلاحه قلم وكومة أحجار

أذان يا ناس من يشتري؟

من يريد الاقتراب من الجنة بضع أمتار

وهم صم من قبل بيعه فوالله قد وجدوا اليوم الأعذار

ونحن طوائف ترمق جحا وحماره وهما بنهبنا يتبادلان الأدوار

وبقينا نرتقب فقط ونتساءل: من المعتدي جحا أم الحمار؟

وحينما انتهيا لمُنا أنفسنا واختصمنا ونحن نرى كل هذا الدمار

ورفعنا شعار هلموا هلموا للإعمار

وإلى الآن جحا وحماره يأكلان والمساجد بكماء

وأقصانا يستحم ويتلون بالدماء

ونحن من عيد الميلاد لعيد الخنفساء

إلى عيد الأشجار

من سماع عواء ذئب إلى نباح كلب ويستمر الحوار

واسألوا "ترامب"

الذي سرق من الشهم شينه

وكان الله في عوننا بما تأتينا به الأقدار.

* * *

فليسقط العشاق في حزن يعشقني

يأسر نهاري وبالليل يؤرقني

أفارقه ويَفرُق بقلبي مخالبه

وبوعيده ودماره دوما يَصْدقني

عيناي قهوته إن عطش

وإن ملَّ شد حبله يشنقني

شبحه يعانق كل من أحببتهم

حتى يتسنى له به أن يُغرقني

كلما اشتدت لوعته بآمالي

أخذت سكاكينه للموت تُمزقني

يموتُ حُر يولد ألف حُرْ

واليوم يموتُ فِكر فتضمحل الأفكارْ

إنه ورب الكعبة لواقع مُرْ

وللأسف لم نتعلم سوى الاستنكار

نُحمَّل بخيباتنا يُعلقها عدونا فيقول جُر

سحر يروض الأسد ليصبح كالحمار

وإن فاقَ يفكر قيل له: للخلف دُر

وإلا كتبنا لك تهمًا ولا يسعك سوى الإقرار

أعلم أن كلامي لم يرق لكم ولا يسُر

لكن ألومي أنفع أم غزل الأشرار

لا يهمني إن كان كأسي فارغًا أو ممتلئ

ولا يهمني إن كان ثوبي جديدًا أو مهترئ

لا يهمني إن حققت حلمًا أو شاخ حلمي وصدئ

المهم لديَّ الرضا والقبول

لا أبالي بما في النفوس وما كادت العقول وإن نظرتم إلى نظرة المجنون وأصابكم من كلامي الذهول

فها أنا أمامكم ولست من أمام العباد مختبئ

* * *

تبعثرت الأوراق

والحال لا يطاق

فأردت أن أستقيم

بدلًا من مصادقة الشيطان الرجيم

ولأن الدول العربية تعددت فيها الفرق

ولأنها اعوجت وأصبحت هوايتها الغرق

قررت التقصي عن الصواب

فذهبت أبحث عن دليل وأطرق كل الأبواب

ولأن مصدر المعلومة الإعلام

أخذت أستمع تارة وتارة أصغي للكلام

قال الفريق الأول أنه الحق

وقدَّم الأدلة وكاد اقتناع في قلبي أن يشق

وقدَّم صورًا للسيطرة والانتصار

وأسلحة وجيش جرار

فقلت لنفسي أن أتريث

فأنا عن نفسي مبتعث

الأمر صعب وفيه تحديد للمصير

خاصة إن كنت تريد إجابة بوقت قصير

فذهبت أستمع لإعلام الفرق التالية

فاكتشفت أنها للكذب موالية

سيوفهم وأدلتهم مسلولة

والنفوس ضعيفة ومذلولة

تبحث عن الصواب

فاستغلها القوم في الاستدراج والاستقطاب

فعدلت عن الاختيار

فحالي كحال من ذهب للمطار

كل الطائرات كُتب عليها ذات الوجهة المرادة

فتبددت على أبواب الاحتيار الإصرار والإرادة

فتريثوا يا بني البشر

فلربما كان الأمن المختار هو الخطر!

* * *

تقلد أملك وكن لقلبك أكار

ففي ثناياه معجزات وأسرار

لا يأسرك الماضي في الجحيم

ولا تدع فكرك يصيبه السديم

ولا تقدم بين يدي ذاتك الأعذار

فالروح تسمو إن جدت

وترقى للعلا إذ الهدى وجدت

فلا حاجة لكلمة سر ولا حتى أزرار

إني ضللت في التيه

وكل خطوة قلبي أدميه

وهذا مني إقرار

لكن امتلأت الآن بأفكار وأمطار.

* * *

إنها الساعة التاسعة

ساعة تصبح فيها الأحلام يافعة

لكن واقعي ثقيل يحتاج لأكثر من رافعة

الأوقات ضيقة والعثرات عيقة

ومساحات اليأس شاسعة

هل لأبواب أن تنطق

أم أنها تكتفي بدموع دافعة

إليك أكتب أيها الصديق

يا قلمي يا خير رفيق

إن الحال يضيق

وأنا قد أضعت الطريق

أأنا أتجمد أم أني في الحريق؟

* * *

لا تضغط على الزناد ولا تزرع في قلبي الأوتاد

تريد أحلامي هي لك، تريد ابتسامتي هي لك

تريد جسدي هو لك، وإن أردت ردعي ضعني بين الأصفاد

وإن أوقفتني ظننت أبلهًا يقف أمامك معدمًا

وهامشًا يستزف من البلاد

فاعذرني فلا أجيد معاملة الأفاعي

فليست من أولوياتي وليست من الدواعي

وإن أردت استهجن وأقم الحداد.

* * *

أتى القلم في عجلة

وخاطب بأحرف مرتجلة

جف حبري من القهر

ألم تكف عن العهر

لن أخضع ليد دنيئة

تجعل حبري رصاص فوق النفوس البريئة

إن تكن سطورك مباحة

فماذا ترك بياضك للقباحة

سيدتي هناك حساب

وهناك رب يُهاب

لن تصمد سطورك أمام النار

فاتقي يومًا تقفين أمام الجبار

أنا القلم العائب أعلن أني تائب.

* * *

حينما تُمزقك الهموم ويأتيك اليأس نفيرا

يصبح حلمك إغلاق جفن يليه زفيرا

آلام وإيلام ولا أُلام

إن كنت مرميًا للسهام

الحزن لا يفارقني وكأن الأرق بي في هيام

لا دمعة تزورني وفكري تنكس به الأعلام

لا أحرف تريح كاهلي ولا فاه يهوى الكلام

فيا أملًا غائب لك من المشتاق ألف سلام

عش سعيدًا ما دام يمكنك أن تشهق.

* * *

في زمن غابر في زمن التراب لا الخناجر

عاش رماح كان مجدًا فلاح

كان يربي الأرض ويقول دومًا الأرض كالعرض

يداعب السنابل فحياته دونها دون توابل

جاءه خبر من بعيد عن قوم يجعلون السنبلة تكنز المزيد

سارع وقال إن الإنسان ليطمع وإن كان فيما أحب فلا يُقمع

جاءوه ومن كل فج أتوه

قالوا: سلمنا أرضك وكن ملك الملوك وكل ما تتمنى يدنوك

قال: يا له من عرض!!

لكن من كل ذلك ما الغرض

قالوا: نحن نحب الشقاء ليعيش أمثالك بالرخاء

ماتت السنابل وحط فوق رؤوسها بنيان

لقوم ما عرفوا يوما قيمة إنسان

رماح فقد جاهه فجاء يُلقي ما في فاهه

أعيدوا بنياتي قالوا: أصبحت في الرفات

ولا حق لك ها هنا ومن كان له حق علينا قدر له الفنى

سنابلنا عاداتنا وسنابلهم تحضر يخدمهم

يهدم حياتنا بينما في أرضنا يعمرهم

لا تبك لنا وأبكي لحالك الذي ملكهم

"التحضر تحضر الفكر تحضر تلك الروح لتتعايش مع كل مستجد وليس إشباع رغبات جسد سيكون وليمة لدودة،

يمكنك أن تكون متحضرًا دون كتابة أي حرف دون أن تنطق بأي حرف فالتحضر يبدأ بابتسامة رهيفة تسقط على القلوب كقطرة مطر في منتصف صيف بالغ في حره"

* * *

لا تستسلم لليأس فيدميك حلمًا

ولا تطأطئ ناظريك للانكسار

وما أجمل أن يكون طبيبك قلمًا

يضمِّد جرحك المنكوء ويدعوه للانحسار

وإن جاوز اليأس في لحمك قرمًا

فقل ربي الرحمن الرحيم الجبار

سجية تُنطق، فإن أردت أن تكون سلمًا

لا بد أن تئن أنين الأشجار

حياة لا ترضى بالجمود، أليست معلمًا

تعلمك عيش جميع الأدوار.

* * *

خلف شاشة إلكترونية هناك عينان ترفض الأحزان

تختلج لتنشر أملًا، لتكتب على صفحات الزمن حياة إنسان

وردة عبقة تفوح وبكل أفق تلوح، كنز من الإيمان

قالت لي: لا تحزن واسمح لي وأذن يا أيها اليأسان

جئت أبدد غياهب الظلمات وأطرد ليل السدفات، وأهديك عبق الألوان

قلت لها: مُحال وحالي للمستحيل يُحال انا ميت ولست بظمآن

أزالت غشاوة الفقد وألبستني من ابتسامتها عقد

فتقدمت لها بشكر والعرفان

كنت أتأمل متجر الأحلام

تُرى كم سأدفع من الآلام لأنال حلمًا جميلًا

قلت: سأشتري

فشهقت الأقلام وقالت يا سلام، فلدينا اليوم عميل

بعثر الكلام وتسقط ابتسامتي كالأعلام

وعن الصراط تميل

واقع وليس مجموعة أفلام

ومسرحية من قال وقيل

أن أحلامنا ملغومة، وأقدارنا تتريث وتتعجل وغير مفهومة

طموحنا السماء، وفي الأرض عناء، ودروبنا غير مرسومة

أين الفراش الوثير، ليتني فراشة تحوم بالأثير، مغرومة

حروفي تمضي للمقصلة، وعقوبات محصلة، وعن الفرح معصومة.

* * *

على جبال الصمت أتأمل حال الجسد

عقل لا حاضر له مكبل بأصفاد من مسد

ناديت بالواقع: اصحو من بعد غفلة

فقال: لوني ليس فاقع ولم أُدع إلى الحفلة

فالكتب ضاق صدرها من تراب

ومجد دفن على سمفونية غراب

وقفل الخير في القلوب قفلة

فلا علم تجوع له الروح

ولا قلم يشفي الجروح

وما ازداد إلا تكبر السفلى

بُني..

العقل مطر والجهل وضر

وحبس العقل يُوّلد العفن

كأنه أم عقيم وسيق بها إلى الكفن.

* * *

العقل علامة تميزنا عن باقي الكائنات، فلم نتخل عنه؟ تُرانا بهذه التكنولوجيا جلبنا العنجهية إلينا أم أن عقولنا اكتشفت السم قاتلها؟،لا يجب للقمر أن يدنو تحت أقدام من باغتهم السهر ولا يمكن للشمس أن تخفض وهجها ليصبح بقدر النجوم ولا يجب على العقل أن يبقى مكبلًا في زنازين الشهوات، العقل طريقك نحو الحرية المطلقة ونحو سعادة الروح.

* * *

يا صاحبي استيقظ إن هواك مالَ
فلن يُغنيك ملء البحارِ والجبالِ مالُ

فإن الإنسان بخلقهِ وخلقك قد بالَ
فاحجز مقعدًا لندمٍ يُشغل بهِ البال

الخير بليلك نائمٌ وفي نهارك قال
وصدقت آثارُ الأولين قبلًا وما قالوا

يا من بينه وبين الحقِ قد حالَ
فما الذي يُبكيك إن ساءت بك الحالُ

* * *

احفظ نفسك في الدروب مزهرا
وفي وجه كل حاقد مدمرا
ولا تهن لحماقات قلب
واجعله عن سطور العقول منفرا
وأثمر بساتينك في الحياة فإنه
أثرك الذي يبقى مهما كنت معمرا

ولا تخض بأوتار قلب من قبل ما
تكن في ليل الزواج مقمرا
ولا تعبر خيط الحياة كأنك لم تكن
جسدًا ليس بالحياة مؤثرا.

* * *

يا أيها العشاق ما صنع بكم الهوى
أجلبتم القمر أم قلبكم من الفراق ارتوى
قلوبكم ممزقة كأوراق شاعر
لم يعرف كيف يفصح عن مشاعره فانكوى
صيحاتكم أم تئنون من نار الحب
أم صوت النشيج بالقلب قد دوى
قلبي من الحب فارغ متعطش
ذئب في ليلة مقمرة قد عوى
ينادي أيا حب أتاني وعذاب سوطك
فالقلب يندب حظ ما حوى.

* * *

على أنقاض الذكريات الجميلة أجلس

لا أحلام تنبت ولا ماضٍ يرضى التكرار

لا حاضر يحتضنني سوى أحزان وأوضار

قول لي ما الحكاية أأنا سيء أم أنتم الأشرار؟

أم أن رقعة شطرنج أم الحياة جعلتكم بمشاعري تجَّار

ابتاعوا حياتي وسأعتبره قدر، أنا أرضى بالأقدار

لا أريد قبرًا وثيرًا ولا قصرًا من حجارة الأقمار

أريد حياة أو موت

أكره أن أكون بالمنتصف خريف يبكي أعين الأشجار.

* * *

قل للصباح المشرَّد أنني .. مللت من حال الغريق المحترق

حلم متعثر على جمر استحالة .. وقلب عن الروح قد افترق

* * *

قل لسنين إني عاشق

وإن الحبُ النفسَ يغنيها

قلبها من الجنة ساقط

ومن كل طيب من النعم فيها

فيا رب حقق دعوة

يخر النصيب لأمرك فاجنيها

وغلق من الهم باب

وعلى قلوبنا الرحمة ألقيها

بحبك نطقنا أول حرف بالهوى

وبحبك حياة برضاك نبتغيها

يا رباه إني بحبها مُتيمُ

فسلمت أمري وجروحي لتشفيها.

* * *

سر لأحلامك فالحلم ندركه

ولا تأبه لصعاب ترتدي الجلل

نموت سعيًا ولا نكترث

لحال من قعدوا فهلكوا من الملِ

* * *

الأطفال الذين يملكون طموحًا تهوى الأحلام مرافقتهم إلى مهجع التنفيذ

فحين يجتمع الحلم مع المثابرة والتطلع والصبر يزداد سراجه نورًا ليهدي صاحبه نحو الحلم.

* * *

أنا طفل أقعت الغيوم لطموحي

ورقصت الطيور وترنَّم الندى حين رأى جموحي

وُلدت أنا كي أحلق فأتجاوز القمر

فإن خانني جسدي

صعدت للآفاق روحي

لا تقل لي ما زلت طفلًا

لا تحلم وستنال الكثير من الجروحِ

مرذول من جمدته كلمات

وأصبحت آماله لكل عابر سفوحِ

أنا يا آمال رمح فكوني لي رهوًا

فهمتي تسبقني كمهرة سفوحِ.

* * *

(لعلي دوابشة.. الرضيع الفلسطيني)

حرقوا عليًّا يا أماه فانتحبي .... على حال أمة فقدت رضيعا

تراه حمل سلاحًا بقدر طوله .... أم كان قاتلًا وكان جرمه فظيعا

دموع أمه يا أماه تمزقني .... يهود اتخذوا من قانون الغاب شريعة

الويل لكل غاوٍ ظلام متجبر .... ظن أن بيديه أحسن صنيعا

لا يعلم أننا أسياد مجد لنا....أن تخرجوا، مُحال وعد الله أن يضيع

* * *

بلادي ما حالك ما عاد قلبي لك ألفَ

هل أضاعتك السنين أم معنى الغربة اختلفَ

أم جاوز الطغاة يسومونك سوء العذاب

أم أنهم جائع دون عقل همه أن يغترفَ

سلام على دين بين ملهات الدنيا دُفن

وعلى مسلم قدر نفسه ما عرف

رمى الإيمان خلف ظهره لما

ظن أن اليهود لهم في الوعود شرفا

مبتسمًا وأخاه في دموعه محترق

وعدو لا يأبه لجرم أُقترفَ
بكيت وقلبي بين الأشواك منفطر ا
وردة حنَّ عليها النهر أن جرفَ.

* * *

جميلة الأرض إذا غضبت
نادت بي الأكفان للقبرِ
ويلي أزهقت لها دمعها
أغفلت عن أوتار الصبرِ
اشفعي إن الحيرة دنت
ودنا الموت لي بشبرِ
ما ذنبي بسفيه يقربني
وبالصدر ترك رمح الغدرِ
المسي لغروب عشقناه
القي بقبولك لعذري
ويحك إن هربت شمسك
وويحي إن قتلني حبري
كلمات جميلة أتركها
لعل يسمعها من بصدرِ

* * *

بترت الأحلام والقلب منفطرٌ

أحرف يهجوها قلم منكسرٌ

غيمة دنت حملاء بآمالي

مفلسة ما بها من العذوبة مطرٌ

وابل كلماتها انداحت تقصفني

وهل للميت أن يقول رفض القبرٌ

ألقت علي مرسال يودعني

واتخذتٌ من عزاء سعادتي أجرٌ

حل الليلٌ بعد غروب منقشع

كأن الخير الضنين يلعثمه الشرٌ

وأنا أدوس على شرفة الماضي

ولا أبالي إن كان يجمله الدرٌ

لا تبالِ سيدتي لتنهيدات رجل

ما كان له على القدر أمرٌ

وامضي لمناجم كمنتها الدنيا

فلم يعد يدعى الجليس عمرٌ

* * *

ولي لدى الأيام حق

وللذي من أحلامي وأد

شكوت للزمن ضيق حالٍ

وإذ بضيق الروح قد فد

هموم لا حول لي بها

مشأمة لمن عرف العدد

لا أجد غير الفراق رفيقا

وصوت ينادي السمح لا بد

أنا رجل إن عظمت أُبتليت

وإن كثرت صفحاتي الدهر قد

أنادي يا إلهي صبري هلك

فيوحي أنك من جعل بيننا سد

عد لصراطك كفاك عصيانا

واجعل لبؤسك اليوم حد.

* * *

إذا صرخت الأرض ألما... وتشققت الصخور وبكى ترابها

أخرجت وردًا عذب الصوت ... مال عن الغروب سرابها

حادة الأشواك،رقيقة القلب ... شهد من الجبال شرابها

سقطت النجوم لها والقمر ... والبحار والأرض وحجارها

واستبشرت الشمس وسطعت ... وغنت الطيور وأشجارها

* * *

اجمعي شَلوك يا بغداد ... وابكِ على شظايا حلب

وكوني على أهبة الاستعداد ... واجهشي ببكاء من لهب

ولا ننسى مصر من الامتداد ... فقوتها وأمانها انسلب

وليبيا تُعاني سنون شداد ... فدم الفريسة الضباع جذب

ودم العروبة الانبجاس اعتاد ... ورأيت من الضمائر العجب

تستيقظ لأنين الغريب من البلاد ... وعن أنينها قلبها انشجب

والقدس يتمايل لعزف الفؤوس ... فهل ذكره عن بالكم ذهب؟

* * *

أيها السيدات والسادة

مواطني الدول المريضة الطامحة بالسيادة

لكم مني تحية

في نبرة من الواقع والجدية

أعلم أن في كلامي إعادة

قلت لنفسي لعل ضمائركم تستيقظ

وترفع عن قوتنا يديها ومخالبها الحادة

فسلام عليكم وفي تكرار السلام إفادة

سلام الإسلام الأسمى

سلام لا يغتصب الحريات ولا يطمح للريادة

فسلامكم سلام أست منه الشعوب

حتى أُلصقت "أست" أمام السلام فكانت المادة

مادة انتهجتموها حتى أصبحتم في بيوتنا

ملاك وأساطير وقادة

قلتم لنا أتينا لكم بالحرية المصونة

لكنكم أخفيتم أنها بالزنازين مرهونة

وملأتم عقل شبابنا بترهات

حول عرقكم الفريد

وأن تاريخ أمتهم بدعة

وحقائقها كلام مجنونة

وبنيتم أمة من أوراق عقول النوابغ

في حين أن العقول بهذيانكم مسجونة

وملأتم كتبنا بنظريات تبدد ديننا

حتى تصبح الفتن بالمجتمعات مسكونة

وإن عارض الحر سياستكم

قتلتموه ودمرتموه "ولعنتم أبوه"

وقلتم حرية الرأي مصونة

فتبًا لكم من قوم

وللعلم

النهاية بنا مقرونة

نصر من فوق سبع سماوات

يمدُّنا بملائكة ويمدُّنا بالمعونة

أكمل

(إن ألصقنا "أست " ب "السلام" فيكون نهج الدول المستعمرة هو----)

إن عرفت الكلمة لا تكتبها بل تخلص منها.

* * *

أحتضر وحروفي متناثرة حولي

محتارة أصمتي العميق يكسرها أم اليأس المتبجح بقولي؟

كأنني في دهاليز النفس أحترق

فهربت إلى غياهب بئر لينتظرني الموت بشوق متجسد بالغرق

أتحتاج الحياة لكلمة حنو تُنعشها

أم أن الحياة تحتاج لقرار دولي

أم أنني نائم في أحضان كابوس

أم أنني بدأت أهذي من هولي.

* * *

أسير وأسير وأعود لوحدتي

أعود للجلوس إلى السماء عندما ترتدي ثوبها البرتقالي المحترق قبل أن يسْبوها الظلام غصبًا

فتبكي نجومًا تشوبها أحيانا شهب حارقة لم تستطع تحمل صراخ السماء ففضلت الموت على عتب الأرض

تبًا للظلام عندما يُسدل معطفه على كل ما هو جميل.

* * *

ملحق بلاد وسط نار البلدان

وطن يستمع لعزف أوطانِ ... دمار ورعب وحزن ألحان

رأيت بالأمس مستقبلًا ... قد سقطت لأنينه أجفاني

لا عاشت الأحرار بنارٍ ... فكيف بهواء مُزج بنيرانِ

أنتظر فجرًا أنتظر نورًا ... أنتظر رؤية يوم دون أكفانٍ

عجبت أن يكون أخي ... تارة مؤازري وتارة سجانِ

بلاد قد أتخنتها حروب ... كانت بالأمس للسلم عنوانِ

تقيأت الأرض من الدم ... من بعد لوحة خضراء من جنانِ

لا تكون القصور بعد يوم ... ففي ساعة تهدم أعظم البنيان

* * *

لست بساخط على الأيام مقتضبا

ولست أحمل الأعتاب على الأقدار

إذا ما بلغ الحزن ثنايا الروح

انهارت باكية على رحيلها أشجاري

أحقاد نكأت قلبًا فانبجست

ألف عين دم وحفرت بالفؤاد آبار

يا حسرتاه ما للفرح هنا متسع

ذبالة تركت خلفها لذكرى أوضار

آه لو كتبتني صفحات الحياة حجرًا

ظالمًا متسلطًا حتى أقهر كل جبار

لكن حدبت نحو الطيب مرتفقًا

يبعج أحلامي غروب ظن أنه مغوار

سيدتي لا تترك للأديب قلمًا

فنحن على الأورق جيش من ثوار.

* * *

يا بائع الأحلام أريد حلمًا لا أذوق فيه الآلام

أريده بجمال الحور العين لا أملّ عنه الكلام

أريده ببياض ثلج وسعادة مختزنة داخل الغمام

رد البائع: يا هذا ما تطلبه وهم ولا يليق بأمثالك الأوهام

عش بواقعك لا تستطرد للخيال ولا تعش كحرف تحكمه الأقلام

أنت إنسان !!!

إنسان يُصيب فيعانقه الفرح ويقتله أن يُلام

الأحلام يا سيدي ليست للبيع ولم تكن لتنكس الأعلام

الأحلام لوحة ترسمها إرادتك وهي خير رسام.

* * *

الجد سعيد

موظف في وزارة المالية

مصدر لفخر الجميع

فهو رمز المثالية

كان من بلد بعيد

إسباني الجنسية

الأمانة شعاره

كان ذا قبضة حديدية

كان الموت يرفضه

لكن يحب كل نفس منه دنية

فلم يبق له سوى حفيد

يخشى عليه من كل بلية

ذات يوم مرض الولد

فحُسن الحال ليست ضمن الأبدية

مع جيب خاوية

إنها يا أصدقاء الهموم الجبلية

كان ينقصه عن ثمن الدواء خمسة قروش

خمسة قروش تردع الموت وتُطلق الحرية

اضطر لأن يجعل يديه عصية

فاختلسها

الحاجةُ تُسقط الحدود الربانية

ولأن الجميع ينتظرون وقوعك

فالناس يفرحون بفقر الروح الغنية

وشاة ينتظرون فريستهم

ويسمُّون ما يقومون به احترافية

وقع الجد في يد العدالة

العدالة الجديدة التي هي محور النقاشات الجدلية

وألصقوا به جميع الاختلاسات

من عهد فرعون إلى عهد على ما أذكر يُدعى بالديمقراطية

وقالوا نحن نُطبّق قانونًا

ولا أحد يقف فوق النصوص الدستورية

يبدو أن الجد سعيد قد تصالح مع الموت

فرغم كل شيء لم يقبل الموت التهم الافترائية

فأخذه مع حفيده إلى الخالق

حيث لا يُظلم حيوان ولا نفس بشرية

فعدالة العصر الحديث تقدسك ترفعك

كلما كانت تصرفاتك فرية

عدالة منقوعة في وحلٍ

تمتاز بأنها عرمية.

* * *

أيها اليأس غادر

فما عاد صاحبك بقادر

فمن يطيق العيش بالوحلِ

بسمتي لا تُصادر

وبراحتي لا تُخاطر

أريد عيش كعيش النحلِ

وإن كان واقعي غادر

وانكسرت أنا الحاذر

وقلبي بيداء تنبض بالقحلِ

فدع رهيف القلب

أما مللت من السلبِ؟

وعيش كاسوداد الكحلِ

أتدري؟

كم كنزت بقلبي من القدرِ

في ابتسامتك بساط من لؤلؤ ساعة الفجرِ

رمقتني بنظرة فسقطت سقطة صخرة من المنحدرِ

عيناك!!

عين شمس طاغية بأشعتها والأخرى ليل مع نجوم تسجد للبدرِ

وحينما تتفوهين بأحرف تخلق سطورًا تنبض بالصدرِ

آنستي

أغويتي قلمي فألقى بحروفه تحتضنك وهام القلب ليملكك

طاغية في سيطرتك على الزمن تلغين قوانينه في استقرار الرغبة

بهدوء لمستك تضعين فكر البشر في زنازين يديك

قد يكفيني رؤيتك في سطر يحمل ملامحك من داخل

أهداب عينيك سهام تنطق بالحدة

ترسم جمالًا وأسرارًا عدة

قلبك لؤلؤي البسمة وأسواط شعرك الحريري تمتاز بالشدة

تعصف في وجد كاتبٍ

ومن تدليها حياة فاتنة استردَّ

قالت لي: يا هذا أنا غريبة

ومن إحصان حدودي لا بدَّ

إن الحصان الذي اجتاح رقعتي

وإلى قلاع حياتي فدَّ

وإلى شفتي ابتسامة قلبك الفتان إليهما مدَّ

أنت الأمل الوثير

وسراج يسير في دهاليز الأثير

فأنبت من لوحة الأيام ورودا

ورسم لليأس حدودا

فكان وجوده محمودا

لا ليل يملك

ونهار يتشرف بأن يقلك

وجميع الأمكنة تجّلك.

* * * * *

الفَصْلُ الثَّانِي

مرت فلسطين

في هذه الليلة تعبر فلسطين أمامي بفستان مخضب بالدماء يجري خلفها صهيوني بسلاح وأوراق ورثت الكثير من مسيلمة الكذاب ووجدت المجرمين يترأسون منصهر القضاء العالمي ويحكمون حاملين أغصان الزيتون مُدَّعين السلام، متجاهلين صرخات آلاف الأشجار وتشرد يكتب حكاياته على جدران انهارت والجثث تزيد على دموع الوطن،

فنادى الفؤاد بالعرب

فوجدت أخًا يرفعه رأس أخيه لكن بعد نزعه عن جسده، وآخر حاقد على الحياة فيسلب ما استطاع منها، وآخرين عرب لكن تشوهت ملامحهم ليصبحوا كائنات أصابتها طفرة فغيرت تفكيرهم وشكلهم تحت مظلة التطور وهم غير مدركين أي طريق مهم يسلكون.

والتاريخ يصيح بهم قد تشرفت ذات يومٍ بكم فكيف غرق المجد على سيمفونية الوحل.

* * *

بلد وسط نار البلدان

اشتعلت النيران، الحرية المفرطة حولنا وأصبحت القيود التي لفت حول قوم ترمى إلى قوم آخرين وأصبح محيطنا كأنه حقل قمح اشتعلت النيران به من كل جانب.

قد كنا بلدا واحدا فأصبحنا بلدان ومن ثم أقاليم ثم عشائر ثم أفخاذ ثم عائلات، حتى افترقت العائلة الواحدة فأصبحنا حجرا تفتت، تتلاعب الرياح بفتاته، نخشى على أنفسنا من أنفسنا لأننا قضينا على شعار باجتماعنا أمننا.

كم كنا كأرض احتلها بستان جند به أشكال وأشكال من النبات لكن عندما قصر البستاني في حقنا حبسنا الثمر واخترنا الداء فما كان منه إلا أن بدأ بقطعنا وبدأنا بنشر الأوبئة تؤذيه وتؤذينا، ومن المذنب لا نعلم، حرب نهايتها خسارة لا رابح فيها ولا غنائم والمؤكد فيها أننا سوف نندم.

لا يمكن للصحراء بعام أن تصبح جنة ولا يمكن للقمر بليلة أن يتحول من هلال لبدر، يجب أن نستخدم أسلحتنا من صبر وعلم ونصيحة قبل أن نستخدم سلاحًا يجلب لنا الدمار ويجعلنا تحت مطر من النيران، فلنفكر ولنتريث لكي لا تكون العواقب وخيمة.

* * *

حينما تهطل الدموع تنبجس الكلمات من أفواه الأقلام تتأوه حروفها الممزقة على بساط الزمن فتستثير الذاكرة فتعصف لتزيد الضيق ضيقًا هدوء يكبل العروق فتحبس الحياة في أوردتها، وكم تشتاق أعيننا لاختزال ضجيج الأنفس بدمعة متعطشة له، دمعة تسافر بعيدًا تبتلعها الأرض فتبكي حممًا وتحس بها النسمات لتولد عاصفة.

وأسفاه عليك أيها البستاني كيف لك أن تخون ورودك لأجل حسناء كانت تسير لتقتل ورودا عاملتك كأب لها.

ها هي حسناؤك قد نكأت أحلامك وبترت سعادتك وانداحت همومك تأتيك وفودا، لم يبقَ لك سوى التراب يحتضنك ليعيد لك دفئًا ألقيت به في مهاب الريح، تلك الحسناء قدمت لك السعادة حتى تعتاد عليها ثم لتسلبها منك وتمزقك بأنياب اليأس.

إذن أيها اليأس لا أحلام تهتز أناملي لها، وليس هناك داع لتكبلني بقيود الماضي، ها أنا مستلقي، أمتني وحسب، نفذ لذتك المطلقة لم يبق أحد أتفاءل بوجوده سوى الموت.

دنت وضغطت على زناد لسانها فطرحتني على هاوية الموت، مجرد إنسان يفتح كفيه ليحمل نزيف قلب، يا رباه كم كلمة سقطت ذلك اليوم ثم همت تنقذني، تشد من ضماد الأمل لعلَّها تُدرك كلماتي الطيبة قبل أن يحتل مكانها غياهب الظلمات فانتفضت عيناي لترسمك بلوحة كان الفرح يتراقص بألوانه قبل أن تمزقها بأنيابك التي عشقت تحطيم الأحلام، لكن عليك أن تعلمي شيئًا عن عالم الكلمات فمن مات طيبًا عفيفًا يعود وحشًا متعطشًا للانتقام، يسحب سوط الكلمات ويستمتع لصراخ الأحرف وهي تنسج ألمًا....

تلك لم تكن النهاية بل لم تقترب من البداية حتى.

* * *

سأجمع أمتعتي وكلماتي المبعثرة وسأضع قلبي في دائرة الاتهام وأجعل عقلي هو القاضي كما علمتني، سأجعل المنطق يترافع عني بهذه القضية، سوف يصف مشهدًا، وعيناك تشعان شرًا بابتسامة توحي بجريمة قادمة وبلسان أشبه بزناد قناصة، تطلقين نحوي كلمات بأنني لست جزءًا من حلمك وأنني مجرد عابر بمحطة حياتك، سوف يقول عبارة اقتبسها منك ألا وهي "قد يتملكنا التسامح لكن النسيان أضعف من ذلك".

سوف يصف مدى حبي ومدى غيرتي ومدى عشقي ووفائي لجوهرة أتمنى أن يكون أودعها الله لي بداخلك، وسوف يطرح عليك سؤالًا عن وجود صداقة من النوع الذي تقصدينه قديمًا...

لكن عليك أن تدركي اليوم أنني قد أدع لك الاختيار بين ذلك الحب الذي يحوي احترامًا لرغبة شخص أحبَّك وبين البقاء مع عنادك....

أعتذر ليس لي يدًا في هذا، لكن دستور القلب والعقل رفض هذا والحقيبة معدَّة للرحيل وللبقاء أيضًا.. أحبك لكن ليست الحياة قافلة أرضها الحب، لكن الحياة أسماك تفاهمت والبحر فأصبح الحب.

* * *

قد سقطت أخيرًا

قد هلك صبري

هذه حرب أكبر مني، لم يعد صراخ الكلمات يُنسيني حزني وها أنا أرسم على رايتي أنني مستسلم.

وما نفع الاستسلام؟!

وأنا أجلس والشمس تستمتع بسحقي بجللي

أعترف أنني بدأت أدرك أن الفرح لن يُحدثني مجددًا وربما وشم الحزن كلماته على قلبي

لا غياب ولا بقاء يحييني

جسد غارق بأفكاره ومحترق بأحاسيسه

قد أفلست مشاعري من الأمل، خاصة بعد أن نفضت ابتسامتي مؤخرًا آخر أمل.

لم يعد لدي إرادة، وأصبحت روحي ميتة الحلم داخل جسدي البالي.

* * *

دعيني سيدتي أدعو الدراسة لتشهد ضمن صفوفي على عشقك

يا معادلتي التي لا حلول لها ليقف العقل يشهق من عجزه ويسعد في المحاولة مرارًا وتكرارًا في تأملك.

كوني جذرًا يقمع الحزن وارتقي بقوة الفرح لتتدفق السعادة

أولم تبح لك نبضات القلوب كيف هي حالها برؤيتك

أولم تسألي أنسجتي وخلاياي كيف تشتاق ابتسامتك

لعلك لا تعلمين أن عروقي تتغذى بِحبك

في سُدفات الليالي يقذفني السهر لجوار النجوم على عرش مربوع بين القمر والشمس فأرى جنونك المهذب

جميع أنواع المقاومة مهملة سيدتي فنحن إن أحببنا جعلنا مخافة الله بمن نحب هي القاعدة الأسمى وتجاهلنا مخلفات الزمن

يا حبًا نتج من تفاعل مزيج الإعجاب غلى على نيران الزمن

سيدتي.. أي جبل شاهق أنتِ وأي سهل خصب أنتِ

أي صحراء تكونين عندما تجافينني

وأي بحر أنتِ يقبل الخبيث من أخطائي ويُغرقها في بحر التسامح

جميع اللغات والكلمات مبعثرة فلا أجد مقاسك

لكن لا بد للأم أن تغازل وتجمِّل طفلتها بثمانية وعشرين زهرة

لا بد لي من النظر من كوة قلبك، أرجوكِ دع الحب يصدع وأصيخي لكلماته، دعِ جيوش الحروف تغتالك لتنوفي في عالمٍ خيالي

كوني غائرة معي

لا تجعلِ سعادتي تنكص بين شفتيك

تبوأي لي مقعدًا في حافلة حياتك

أعشقك ليس لأنك الأفضل بل لأنك أنتِ ولأن الله كتب لي حبُّك..

ما زلت أحبك.

* * *

سرت بين أزقة الخيال إلى القدس مررت بطفل وجهه فيه رواء وثيابه ممزقة مرذولة، أسهبت النظر إلى عينيه وحدجت داخل سريرته حتى خُيِّل لي أنني جني يسكن فيه.

بحثت عن همس الطفولة داخله، بدأت أصرخ بين دهاليزه: أين أنتِ يا طفولة؟ لكن عنكبوت الاحتلال كان قد نسج خيوط اليأس في كل زاوية وعلى كل مخرج بل على كل حلم أو فكرة حتى ضاعت الأحلام في فجوة الحرمان.

أكملت سيري وأثناء ذلك سمعت صوتًا يجهش، فالتفتت فإذ بشجرة زيتون طاعنة في السن تحاول أن تحتضنني لتغسل بدموعها ما ألحقته بها نوادي، لكن حالت الأغصان المبتورة دون ذلك.

قد بتروا عطاء الأرض، قد ألحقوا بأحلام الفلاح التي كانت تُخلق على هيئة سنبلة قمح وكيس زيتون.

في كل خطوة تنطق العثرات بباقية القرى وجلاميدها وأنا أرهف أذني لكل حكاية تحكيها أو بالأحرى كل مأساة.

في لحظة صمت باغتني سؤال وهو ينمس: أين الجسد العربي الواحد؟

أخذت ألتفت هنا وهناك وصوت الانفجارات التي تدوي والنواح الذي يهيمن في الأجواء..

إنه هنا!!

رأيت إحدى اليدين وهي موضوعة على رأس الفتاة المدعوة فلسطين تتحرك برفق وحنو الأمهات وتمرر برفق على شعرها الأثير ثم رأيت اليد الأخرى تهوى على وجهها وقد تملّكها كره الشياطين للإنسانية.

جسد بيدين متناقضة بمواقفها.

عُدت لذلك الطفل الذي استضافني بألمه بالبداية أريد الجلوس بمحاذاته أذرف معه الدموع فكلانا قد تيتم فقد فقدت أمي الأرض وأبي الحلم، لكن لم أجده ووجدت رسالة كتب فيها:

(يموت كل شيء إلا إرادة العيش حتى لو فنينا ونحن نحاول أن نعيش.... إن لم أعد فستجدني قد لحقت بأسرتي فاتبعني)

أعدك أن ألحق بك بأقرب فرصة.

* * *

كم أتمنى أن أصبح زهرة تعانق قطرات المطر شوقا فتسمو بفرحها نحو الشمس لتقول لها لعلك منيرة، ولعلني لن أصل إليك يوما، لكنني كنت قوية لأحاول أثبت أن مازال لدي بعض الإرادة وأن رائحة الشجاعة العطرة سوف تنتشر لتحرر أزهارا وأزهارا.

مللت من كوني صخرة لا تتزحزح مع تيار الأيام، تبقى كما هي لا نفع ولا ضرر، تنتظر أن تقضي عليها ضربات الزمن القاسي.

فراغ مقيت.. يسدل ستارته على رئة حياتي فينبس الاختناق لي قائلًا: يا هذا استسلم لخمود هواجسك ودع اليأس يسري بجسدك ودع الأمل يشجب بسلام.

إنها سجية الواقع وعنجهية الطموح وسُدفات الشعور ووكنات خفافيش العثرات كغصن شجرة متوهم يقاوم صفعات تيار نهر يراوده سراب الإصرار فيقاوم حتى يقرأ على جبينه "أنا مستسلم".

يرمق شجرة الواقع التي طرحته ها هنا كدرع لأسواط الرياح.

من التراب بدأت حياتي وإلى التراب أمضي وما بين الاثنين أعانق الاحتيار، احتيار في اختيار الإيقاع الذي سيقيم الحياة الأمثل أو على الأقل حياة بإيقاع مقبول دون نشاز، تعلمت من صفحات الحياة أن الطريق إلى الله يجعل السعادة تحدج كامل نظرها إليك لتصبح أسيرًا في زنزانة عينيها لكنها لم تنبس لي بالبداية ولا حتى بلافتة صادقة تقودني لدروب الصواب فجميع الطرق كُتب على جانب قارعتها من هنا ممر الأمان بينما نهايتها تُفضي إلى الجحيم عدا ما رحم ربي.

قلوبنا معصوبة الأعين محرومة الدلالات مشوهة الأفكار، إمعة في تبعيتها.

كم دثرتنا أيدينا نحن بني البشر.

* * *

كم يخسر العاشقون.

كم حلمًا نسجوا وكيف تبددت وكيف أن الصبر خذلهم وكم يصبح الجنون صديقهم المخلص يشكون حالهم لأمواج البحر وللجدران وبسذاجة ينتظرون نصحهم!!

أما حان لهم أن يخلعوا هذا الثوب الردئ عنهم؟!

يكفيهم غليان مشاعرهم على هاوية الأوهام، دعكم من السهر فهو رفيق سوء وكفوا عن التأمل فالحقيقة تبوح لكم أن الحب لن يأتي إلا في أضغاث أحلامهم.. كانت أفضل الدروس التي أوحى الحب بها أن الانشغال قاتله؛ لذا حاب فراغك حتى يأخذك التعب وحتى يُصيب عقلك التائه الخدر.. وقولوا لمن أحببتم سحقًا فاغرقوا تحت وطأة بحر النسيان.

* * *

اعصفي يا ريح، دمري ما يقف في طريقك وأنتِ أيتها الشمس كفاك حياء، اخرجي من خلف ثوب الغيم، أحرقي غاباتي، وأنت أيها القمر دعك من العاشقين واطلب البحر يلبيك يُغرق كل ذكرى، دع أسماك النسيان تأكل، وأنتن أيتها السيوف الثملة ألا تشتهون قلبًا ينزف ألمًا تجذبنكم رائحة الدم، وأنت أيها البركان الذي يسكنني إن الأمل يستهزئ بك فدمره تدميرًا واجعله أضحوكة للقدر، وأنت أيها الموت أنت ضيفي، وأنا اشتقت إليك فأهلًا سوف أعدّ لك وليمة من روح طيبة يبدو أنها لم تتأقلم مع باقي

الأرواح، وكما أراك من المحسنين، وهناك ديدان جائعة سكنت التراب فألقي بذلك الجسد دعهم يفرحوا ما دام الفرح رحل قبل أن يبتسم لي.

* * *

ها هي أمواجك يا زمن ترتفع وتحمل اللؤلؤ المكنون الذي يتزلج بمهارة وسط نزلات الشر.

كما تغيب شمس تشرق من جديد، تداعب أشعة الطموح، تستلقي تتأمل سحابة، تحاول أن تخيط من مخيلتك ومنها حلم جديد.

في يوم بذرت الأرض وحرثتها وبت أنتظر الأمل لكنه لم يأت، وذهبت في قيلولة عن الإيمان لأستيقظ لأضع الانتظار في غمده وأسلِّط نظري إلى السماء راجيًا الله أن يُنبت الأرض ولو استقت من بحر الخيبات.

أسنت حروفي وماتن تلك الحيوية والرغبة الجامحة للطموح التي كانت تطفر من عيني..

تحتاج كلماتي لحلم يجعلها تختلج مع كل حركة لهذا الكون.

حياتي مسرحية ويجب أن يستمر العرض وألا تُسدل الستارة حتى مشهد الموت الأخير..

فلتتفجر الكلمات التي تخبوا في العمق دون ترجمة واضحة للمشاعر بعدما فقدت قدرتها على التعبير.

* * *

يا صاحبة الرداء الأحمر، يا من جُمع الشمس والقمر بعينيها وخرمت ابتسامتها جدران اليأس العبوس، قد زهت حياتي بكِ.

كم هم حمقى البشر الذين لا يقدرونك فالتمسي لهم عذرًا سيدتي، فمن أراد رؤية سحرك وأن يحدج بملامح ذلك القلب الذي يخبو، عليه أن يرتقي بنفسه كثيرًا، فمن أراد رؤية البدر على صفحة الماء عليه أن ينظر إليه تشوفا.

قد خلبت رؤيتك اليوم البؤس الكامن في ثنايا الروح وكلما أطلت ابتسامتك من كوة اللحظات أنستني ما معنى أن يكون هناك مضض.

لم أكن لأتصور أن السعادة قد تتجسد على هيئة أنثى، لكنك لست أي أنثى فأنت الزهرة في تربتي والقمر في سمائي وحروف على مائدة صفحاتي المدمرة.

يا من أرتقى بحبات الثرى فتزيدها مجدًا كلما عانقت قدميها فأصبحت نجومًا تزين أحلام العابرين في دروب الحياة.

يا غابتي أريد أن أحيا على ترانيم أحلام وأصيب الدفء من حرق حطب أحزانك الواجمة سأحاول أن أجعل حياتنا قصة ترسمينها بنقائك فأكتبها بحبي لكِ.

* * *

دعوها فإنها نتنة

لن نصل المجد إن جعلنا قليلًا من الأسلاك والسياج المسمى بالحدود هي معيارنا للمقارنة بين البشر.

هو ليس فلسطينيًا، هو عربي هو ليس مسيحيًا أو مسلمًا، هو عربي.

نحن نقتل العروبة حين نُلصق جميع الأوضار بها حين نصفها بالخائنة تستهويني مجالس الناس فتجد كل شخص يملأ جيوبك ودماغك وكل ثغرة في جسمك يمكن أن تحوي فكرة سيئة عن العرب، فأتعجب من ملايين المتذمرين الذين يتحدثون عن العرب متجاهلين أنهم منهم.

وحين أستثني كل شخص تحدث عن العرب من الخيانة سأكتشف أنني من بقي أسفل القائمة.

- أنا العروبة فلا تحاسبوني وحاسبوا ثنايات قلوبكم.
- فلسطين ملك للجميع وأم، فهل تدافع عن أمك يا هذا.
- أنا أردني منتمي، لكن وطني الأكبر هو بلاد العرب.

* * *

أي الحروف ستصف حالي العاصف وأي أوراق حمقاء ستقبل أن تمزقها وصف ما تنطق به الكلمات.

أتُرانا يا قلمي أصابنا الغلو في استبدادها أم أن القلب لديه من السطور القابعة في ثنايات عروقه ما يفيض عن مكتبة كئيبة أسنت وأصاب كتبها حزن قاتل... الحمد لله.

* * *

جالس على بساط الدنيا أتأمل الأحلام الصاعدة والآمال المحلقة
جمعت الدنيا بساطها ناسية جسدي الحالم عليه حتى ضاقت بي
أصبحت ممزق الحال متزاحم البال، يقيدني اليأس بأحز الحبال،
لا صديق يُؤنسني ولا حبيب يشفي كلمي حتى أصبحت همومي كالجبال
لكن الوحدة هي من تصنع الرجال.

* * *

كمد القلب وضاع في حضرة التيه، لا أمل يدفعه ليحيا وجميع بوادر الحياة مكلبة.

جالس في صحراء اليأس أتأمل هذا المهيع بما يحويه من مفترسين دون فرائس ووحوش مستوحشة.

كم أزدري العشاق!!

يظنون أن الحب أسمى ما في الوجود!!

خُيل إليهم أنه السد المنيع، وبقطرة واحدة أصبح هشيمًا تذروه الرياح،

كم أشفق عليهم بظنونهم الساذجة التي تُوحي بالرسوخ والقوة والمناعة،

غرتهم حجم شجرة حبهم ولم يدركوا أنها نابتة على جرف العثرات والمصاعب.

كم أتمنى لو أعيش حياتي بين دفتي كتاب، عندما يقع نظري على حزن أسارع لتمزيقه.

هيهات هيهات!

* * *

تأمل نفسك بالمرآة جيدًا، انظر كيف لطَّخ اليأس ابتسامتك بل شوه الرواء الذي يميّز وجهك.

قلت لي ذات مرة إنك تعيش في هذه الحياة أكثر من حياة وأن طعم السعادة يُنسيك التأوه من الألم واليوم أراك لا تتألم لأنك ميت!!

ولأن قضبان الموت قد اخترقت روحك.

ألهذا الحد تُغريك هذه المائدة المتمثلة بحطام الأمل وسط ظلام شموع الوحدة؟

ما بالك!!

أذكر أنك قلت إن السماء لن تكفيني لأرى الحياة.

لماذا أصبحت تتمنى كوة صغيرة لاستراق النظر؟

أأعجبك منظر الأحلام وهي تنزوي؟!

لا تكن أبلها، بل أقصد لا تكن ميتًا.

نطقت بي الحياة ورأيت ابتسامة أمي تسطع كشمس الصباح، ومضت الأيام إلى أن جاء يوم زادت الضوضاء الصاخبة والصراخات المتألمة، هرعت أمي إلى النافذة كان جانبي الطريق يسيل بماء أحمر على غير العادة، خفت كثيرًا وهممت بالبكاء لكن أمي لم تكترث لبكائي ولم تبدِ اهتمامها بي مثل المعتاد فقد وضعتني وكانت تجهز أمتعتنا.

خيِّل إليَّ أنني أسألها: إلى أين نذهب؟

فتقول: نهرب من الموت.

فأرد بسؤال: هل هناك من يستطيع الفرار من الموت؟

فأجابت: أن تمسك بالحياة يا بني.

ركضنا هربًا من مخالب الموت ومن صفعات المشاهد المحزنة،

قلت في نفسي: لماذا لا ننتظر بطلًا يُغيثنا فنحن دولة الإسلام؟

نطق الثرى: عذرًا سيدي، لكن لا تتأمل كثيرًا فمنذ زمن وأنا عطشى لدماء الأبطال.

حلَّ الليل وكان دامسًا بهيمًا حتى اعتقدت أن الموت أحاط بسفينتنا التي تُبحر نحو الحياة وقد كنت محقًا، لكن لم أتوقع من البحر الجميل هذه الخيانة حين فضَّل دفني وسط ازدراء أمواجه من حالي.

أمي..

قذفني البحر إلى الشاطئ، يبدو أنه تقيأني فطعمي البريء لم يستهوه،

خرجت من أرضي هربًا من الموت، فكان الموت أول المستقبلين!

الآن عرفت أن ضمائر العروبة ماتت قبلي وأن قطع المعادن والسلطة الزائلة أوهمت البشر بالقوة.

سأدعو لكم ليس لأنكم تستحقون، بل لأنني عربي أقدِّس معنى العروبة!!

* * *

أنبس بحروف توقد في السماء غلالات النجوم
أنبس لك يا صاحبة القلب الرهيف، أخترم من الجمال كوة لأتملكك
لأطوف في أثير ملامحك لأنكب على آية شذية من الجمال
أطوّح نظري في أزقة قلبك فأرتشف منه شعورًا لا يرتوى منه
لا تسدلِ عينيك عني ولا تخضعيها لتختلج
أصيبيني بنشاشيب نظرتهما وانقشي بأهدابها بعشقك
دعي مشاعري الخماص تنال من قلبك نصيبا
خصلات شعرك الناضح بالسحر تمزقني
وكلماتك الوثيرة تستلقي في فؤادي تحز في فكري
في قدومك ربيع وكلما اقتربتِ زاد الربيع ربيعا
تتعانق حبات الثرى فرحًا لقدومك لأن قدميك منحتها شرفا
لو تعلمين كيف تتوالى النبضات كلما أقبلت غائرة بطلَّتك
وكيف بقي جسدي وحيدًا حينما هجرتني روحي إلى جوارك
تراقبك يا صغيرتي.

* * *

إليك أيها الاشتياق، إلى أبوابك المؤصدة
إلى ساحات التعذيب في زنازين القلوب
إلى كل لحظة فراق تغزو الدروب

أما حان لك أن تتلاشى وشموعي تتحاشى

الواقع صعب وإنك مع قوانينه لا تتماشى

قلبي المريض يكتب لك بالخط العريض

أنه يريد قاطنيه، أبعد عذابك، بمن أشتاق تأتيه؟

أسرتني فضاقت أصفادك على حالي فلم تعد الدموع تخفف من استهجانك ولا أجد أي دروع تزحزحك من مكانك

قد حصحص الحق..

القلوب الطيبة تحتاج لقاطنيها كي تثمر بالفرح من جديد.

* * *

قلبي المحطم وتلك المخالب الذي لا زالت منغرسة بعمق

الثواني تلعب دور الجلاد وأنا ذلك اللص الذي سرق الجروح

أنا ذلك الغصن الذي تتقاذفه العواصف

أنا تلك الورقة الممزقة التي لا تغري أي قلم فاتن

أنا ضحية اختارت أن تكون فريسة للزمن

أنا من لا ينسى الجروح

يكتفي فقط بأن يسامح.

* * *

املؤوا صفحاتكم اليوم بما يجعلكم تبتسمون حينما يضع الماضي بصمته على سطورها..

صفحاتكم الطاعنة بالسن ستنطقن بالكثير

ستنطقن بنضوج عندما تدرك سذاجة ما كتبت

أو ستنطق بندم مجلجل إن وجدتكم أنكم أضعتم حياتكم بالموت المستلقي والذي خيمتوه مع كل نبضة لقلبكم الجميل

ازدانوا يومًا بعد يوم وارتقوا.

* * *

هدوء جميل تقتحمه قطرات الندى مدججة بالكثير من الفرح ولسعة برد أتت لتقول أن استعدوا لمراسم دخول الشتاء المبهج.

تتحسس القطرات رأسي بيدين حنونتين توحي إليَّ أن خصل الأمل ستستمر بالنمو حتى خُيِّل إليَّ أن أوعية قلبي وشراييه جذور يوشك الأمل أن يطفر منها.

للأمل رونق يدفعنا للابتسام بوجه العثرات العابسات

فنجان القهوة بجانبي أحتسي منه قهوة فيحتسي مني حرفا

أستحى على ورقة حسناء تجلس بين يدي يداعبها قلم وسيم، أراقبهما وليس بيدي سوى أن أغبطهما، أمسك حبره بطريقة مستفزة للحب فشهقت الورقة فاستلقت حياء فثار القلم عندما تدلت سطورها عليها وأقبل يكتب بحرقة سنوات من الحرمان

أعجزت أن أكون قلمًا؟!

تمت

* * *

الطبعة الأولى

1439 **هـ** - 2018 **م**

جميع الحقوق محفوظة للكاتب

يُمنع نسخ أو استعمال أي جُزء من هذا الكتاب بأية وسيلة تصويرية أو إلكترونية أو ميكانيكية بما فيه التسجيل الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مقروءة أو أية وسيلة نشر أُخرى بما فيها حِفظ المعلومات، واسترجاعِها من دون إذن خطي من الناشر أو المؤلف.

Copyright © 2018

All rights reserved. No part of this publication may be reproduced, distributed, or transmitted in any form or by any means, including photocopying, recording, or other electronic or mechanical methods, without the prior written permission of the publisher, except in the case of brief quotations embodied in critical reviews and certain other noncommercial uses permitted by copyright law. For permission requests, write to the publisher, addressed "Attention: Permissions Coordinator," at the address below.

الحلم
للنشر و التوزيع